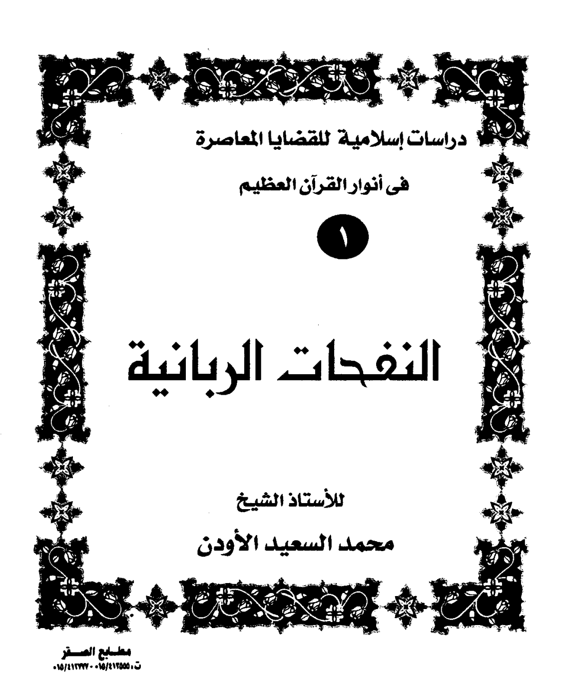


دراسات إسلامية للقضايا المعاصرة

فى أنوار القرآن العظيم

١

النفحات الربانية

للأستاذ الشيخ

محمد السعيد الأودن

مطابع الصقر

ت: ٠١٥/٤١٢٥٥٥ - ٠١٥/٤١١٢٢٢

1422 هـ ـ 2002 م

* الكتـــــاب : **النفحات الربانية**
* الـكـــاتــب : **محمد السعيد الأودن**
* الطبـــعـــة : الأولـى 2002.
* الـنـاشــــــر : **دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا .**
* التــــــوزيـع : **دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا .**

تليفاكس : 3305538 ـ 3321744 / 040

☎ 040 / 3316316

* التجهيز الفنى : الندى للتجهيزات الفنية ـ المحلة الكبرى

تليفاكس : 2120277 / 040

* الإيداع القانونى : 1972 / 2002
* الترقيم الدولى : I. S. B. N 977 - 278 - 217 - 0

Web Site :www. albashir.com.eg

E-mail:albashira@compu-castle.com.eg



النفحات الربانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١).

وهو القائل :-

« العلماء ورثة الأنبياء » .

ورسالة العلماء فى كل زمان ومكان هى :-

إرشاد الناس إلى الحق وإلى صراط الله المستقيم وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة عملاً بقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(٢).

والقرآن الكريم هو النور الذى أنزله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وصدق الله العظيم حيث يقول لرسوله الخاتم :-

﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

---
(١) الأنبياء : (١٠٧).
(٢) النحل : (١٢٥).

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾(١) .

والقرآن هو الشفاء وهو الدواء لكل الأمراض الاجتماعية .
يقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) .

اللهم نوِّر قلوبنا بالإيمان .

اللهم نوِّر قلوبنا بالقرآن .

اللهم نوِّر قلوبنا بنور وجهك الذى أشرقت به ظلمات الأرض والسماء واصلح به أمر الدنيا والآخرة .

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لك ، وانفع به عبادك .

فما أردت به إلا الإصلاح ورضاك .

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(٣) .

كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه ورضاه

محمد السعيد الأودن

خادم القرآن

---

(١) أول سورة إبراهيم .
(٢) يونس : (٥٧) .
(٣) هود : (٨٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات ربانية

لقد مَنَّ الحق تبارك وتعالى على الأمة الإسلامية بالنفحات الربانية وأهم هذه النفحات الربانية هى الهداية إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله دون أن نفرق بين أحد من رسله وباليوم الآخر .

والهداية ! إما أن تكون (هداية إرشاد)، وهذه الهداية عامة للناس جميعاً ، يقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

وإما أن تكون (هداية معونة وتوفيق) وهذه خاصة بالمؤمنين . يقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[2] .

ويقول :-

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3] .

---

(١) فصلت : (١٧) .

(٢) محمد : (١٧) .

(٣) آل عمران : (١٠١) .

ولقد جعل الحق تبارك وتعالى الأمة الإسلامية أمة وسطاً وصدق الله العظيم حيث يقول :-

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١)وهى أمة وسط فى عقيدتها فهى تعبد إلهًا واحداً لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ (٢) .

وهى تقتدى برسول واحد .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٣) .

ولقد جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله العظيم حيث يقول :-

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) البقرة : (١٤٣) .
(٢) سورة الإخلاص .
(٣) الأحزاب : (٢١) .
(٤) آل عمران : (١١٠) .

وهى أمة وسط فى شريعتها فلا إفراط ولا تفريط ، وهى شريعة يسر لا عسر فيها ، وصدق الله العظيم حيث يقول :-

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(١) .

شريعتها شريعة عدل لا ظلم فيها ولا بغى ولا اعتداء على أحد بغير حق .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢) ويقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(٣) ويقول :-

﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٤) .

﴿ لا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ لا يحملنكم .

﴿ شَنَآنُ قَوْمٍ ﴾ بغضكم لهم .

﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا

---

(١) آخر سورة البقرة .
(٢) النحل : (٩٠) .
(٣) النساء : (٥٨) .
(٤) المائدة : (٨) .

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(١) .

ومن هنا ندرك أن دين الإسلام دين لا يعرف الإرهاب والاعتداء على الغير بغير حق والواقع يشهد بأن أعداء الإسلام من اليهود ومن يناصرونهم من النصارى هم الإرهابيون وهم المعتدون، والذين يُعَرِّفون الإرهاب حسب أهوائهم وشهواتهم، وهذا لا يقره عقل ولا دين ولا قانون، ولا أخلاق، ولقد جعل الله الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، يقول الحق تبارك وتعالى : -

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ .... ﴾(٢) .

والأمة الإسلامية نالت هذه الخيرية لأنها آمنت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، وأمرت بالمعروف ، ونهت عن المنكر عملاً بقول الحق تبارك وتعالى : -

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

وبقول رسول الله ﷺ : - « **والذى نفسى بيده لتأمرنَّ بالمعروف ،ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ، ثم لتدعنَّهُ ، فلا يستجاب لكم** » .

---

(١) البقرة : (١٩٠) .
(٢) آل عمران : (١١٠) .
(٣) آل عمران : (١٠٤) .

وبقوله :- « يا أيها الناس إن الله يقول لكم مُروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ،قبل أن تدعوا فلا أستجيب لكم ،وتسألوا فلا أعطيكم ، وتستنصروا فلا أنصركم » .

والأمر بالمعروف واجب على المؤمن حيث أمكن ذلك ، والنهى عن المنكر واجب على المؤمن كلما ظهر المنكر ، وأمكن النهي عنه عملاً بقول رسول الله - ﷺ - :- « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

والإنكار بالقلب يجب أن يكون إيجابياً ، وذلك بعدم الرضى والمقاطعة حتى يعودوا إلى رشدهم ويرجعوا إلى ربهم ، قال رسول الله - ﷺ - :- « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى ، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

فجلس رسول الله - ﷺ - وكان متكئاً ، فقال :- « لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً » .

أي : تأخذون بأيديهم إلى الحق قسراً .

وفى هذا الحديث وعيد وتهديد لمن يجالس الذين يفعلون المنكر وهم مصرون على فعل المنكر ، بل يجب مقاطعتهم والبعد

عنهم حتى يتوبوا ويرجعوا إلى منهاج ربهم ، ولقد حدث ذلك فى عهد رسول الله - ﷺ - ونجحت المقاطعة فى علاج المنكر .

وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى فى الرجال الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج للجهاد فى (غزوة تبوك) بدون عذر :-

﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[1].

فالمقاطعة علاج شاف وناجح فى معالجة المنكرات فى المجتمع الإسلامى ولقد علم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في خلافته - أن بعض المسلمين تقاعس عن الجهاد بالكلمة لمحاربة المنكر في المجتمع الإسلامى لأنه توهم أن هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[2] تعفيه من التكليف بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما دام هو فى نفسه صالحاً مهتدياً .

فقام أبو بكر الصديق ، وصعد على المنبر ذات يوم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :- «أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ..... ﴾ وإنكم تضعونها فى غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :

(١) التوبة : (١١٨) . (٢) المائدة : (١٠٥) .

- **« إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه ، يوشك أن يعمهم الله بعقابه»** وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - يقول :-

يا أيها الناس خذوا على أيدى سفهائكم ، فإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :-

« إن قوماً ركبوا البحر فى سفينة ، فاقتسموها ، فأصاب كل واحد منهم مكاناً فأخذ رجل منهم الفأس ، فنقر مكانه فقالوا :ما تصنع ؟

قال : مكانى أصنع به ما شئت ، فإن أخذوا على يديه نجوا ونجا ، وإن تركوه غرق وغرقوا».

فخذوا على أيدى سفهائكم قبل أن تهلكوا .

ومن هنا ندرك أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قولاً وعملاً ، فالقدوة الحسنة من أهم وسائل التربية .

ولذلك قال الحق تبارك وتعالى محذراً من القول دون العمل فقال :-

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[1] .

ويقول :-

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا

(١) البقرة : (٤٤) .

عندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[1] .

وهذا جزاء من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهى عن المنكر ويفعله .

يقول رسول الله - ﷺ - :-

« يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار ، فتندلق أقتابه فى النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون :-أى فلان !! ما شأنك ، أليس كنت تأمرنا بالمعروف ، وتنهانا عن المنكر ؟ .قال :-كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

« تندلق أقتابه» : تخرج أمعاؤه .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - قال :

«رأيت ليلة أسرى بى رجالاً تقرض شفاهم بمقاريض من نار . قلت : من هؤلاء يا أخى يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من صفات المؤمنين .

يقول الحق تبارك وتعالى :-

(١) الصف :(٢ ، ٣) .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

ويقول :-

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) .

والدعاة إلى الله الذين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فى حاجة ماسة إلى أن يتخلقوا بخلق القرآن حتى يكونوا قدوة طيبة وأسوة حسنة ، لأن الكلام إذا خرج من القلب وصل إلى القلب وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان .

وقد قيل فى الحكم :-

« عمل رجل فى ألف رجل ، خير من قول رجل فى رجل »
ويجب أن يكون رفيقاً بالذى يأمره وينهاه وألا يكون فظاً غليظ القلب .

---

(١) التوبة : (٧١) .
(٢) التوبة : (١١٢) .

وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى لرسوله الخاتم :-

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[١] .

وأن يكون ذا علم واسع ، وعقل راجح ، وقلب جاشع وصدق الله العظيم حيث يقول :-

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[٢] .

قال سفيان الثورى -رضي الله عنه- :-

« لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال :-

* رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى .

* عدل بما يأمر ، عدل بما ينهى .

* عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى .

وأن يكون صابراً محتسباً لأن الله يبتلى الدعاة إلى الله بأذى الكفرة والمشركين والملحدين حتى يميز الله الخبيث من الطيب وبذلك يزداد المؤمن إيماناً على إيمانه وينال رضا ربه ويتحقق فيه سنة الله فى خلقه .

---

(١) آل عمران : (١٥٩) .

(٢) النحل : (١٢٥) .

فمع العسر يسراً ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ وبعد الضيق فرجاً وبعد المنحة فى سبيل الله منحة ربانية كما حدث مع رسول الله - ﷺ - ومع أصحابه من المؤمنين فى أول الدعوة الإسلامية فقد أكرم الله رسوله برحلة الإسراء والمعراج ، وأكرم أمته بفرض الصلاة عليها فى هذه المرحلة الربانية ، والصلاة صلة بين العبد وربه .

يقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(1)

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(2) .

يقول رسول الله - ﷺ - :- « **أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإذا صلحت صلح سائر عمله ، وإذا فسدت فسد سائر عمله** » .

وثمرة الصلاة ثمرة عظيمة فهى تنهى عن الفحشاء والمنكر وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :-

---

(١) ،(٢)المؤمنون: (١ ، ٢ ، ٩ ، ١٠ ، ١١) .

﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(١) .

فحافظوا على الصلاة « **فمن حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة** »

كما قال رسول الله – ﷺ – .

وقد شدد الله النكير على من يفرط فيها ، وهدد الذين يضيعونها فقال :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾(٢) .

وقال :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾(٣) .

والمسلمون في هذه الأيام في محنة كبرى فقد تجمع عليهم الأعداء واتهموهم بما ليس فيهم من إرهاب واعتداء عليهم من غير دليل ولا برهان حقداً وحسداً من عند أنفسهم .

والواقع يشهد أنهم هم الذين يعتدون على غيرهم

---

(١) العنكبوت : (٤٥) .

(٢) مريم : (٥٩) .

(٣) الماعون : (٤، ٥) .

ويفسدون فى الأرض ولا يصلحون ولقد استكبروا فى الأرض وعتوا عتواً كبيراً .

وعلى المسلمين أن يلجئوا إلى الله ، وأن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[1] .

فنحن فى أيام مباركة فيها نفحات ربانية ، يقول رسول الله - ﷺ - :-

« **إن لله فى دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها ألا فتعرضوا لها** »

ويقول :-

« **شهر رجب شهر الله ، وشعبان شهرى ، ورمضان شهر أمتى** » .

وفى شهر رجب حدثت المنحة الربانية منحة الإسراء والمعراج بعد المحن والتعذيب والتشريد والصبر على ذلك ، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي

---

(١) آل عمران : (١٠٣) .

ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١) .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٢) .

وكان رسول الله - ﷺ - يصوم أكثر شهر شعبان ولما سئل عن ذلك قال :-

« ذلك شهر غفل عنه الناس ، فيه ترفع الأعمال إلى الله ، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » .

وهو شهر يجب أن يرجع فيه المسلم إلى ربه ، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب **« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم »** .

وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله ، والعاقل يجب أن يحاسب نفسه الحساب الختامى السنوى فمن وجد خيراً فليحمد الله وليعزم على المزيد من فعل الطاعات وعمل الصالحات وليشكر الله حتى يزيده إيماناً على إيمانه .

---

(١) آخر سورة النحل .

(٢) أول سورة الإسراء .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1]

ومن وجد غير ذلك فليرجع إلى الله بالتوبة والندم على ما مضى والاستعداد لشهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار – شهر رمضان – فهذا شهر عظيم :–

«**أوله رحمة ، وأوسطة مغفرة ، وآخرة عتق من النار**» كما قال رسول الله – ﷺ – .

وهو شهر نزل فيه القرآن الكريم، والقرآن هو هدية رب الناس للناس، يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[2] .

ونعيش فى أنوار هذه الآيات :–

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ

---

(١) إبراهيم : (٧) .

(٢) أول سورة إبراهيم .

طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(١) .

لنستخرج منها العبر والعظات التى ترشدنا إلى ما فيه الخير لنا فى الدنيا والآخرة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

فرض الحق تبارك وتعالى الصيام على المؤمنين لإصلاح النفوس، وتزكية الأبدان وتضييق مسالك الشيطان، ولذلك نصح رسول الله - ﷺ - الشباب بقوله :-

« يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

والصوم مدرسة ربانية ، لتربية النفس الإنسانية ، وتهذيب أخلاقها وتدريبها على الصبر ، وتحمل المشاق ، قال رسول الله

(١) سورة البقرة :(١٨٣ - ١٨٦) .

- ﷺ - : - « الصوم نصف الصبر » .

والصوم غذاء روحى ، وتدريب عملى ، وتشريع سماوى ، للسمو بالأخلاق الإنسانية ، فهو امتناع عما أحل الله من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

وكيف يجوز لعاقل أن يفكر فى ارتكاب ما حرمه الله ، وقد منعه الله من اقتراب ما أحله الله ؟ .

ولذلك بدأت الآية بهذا النداء المحبب للنفوس ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نداء من الخالق الرازق لعباده المؤمنين الموحدين الصادقين فى إيمانهم ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ فرض عليكم الصيام .

وقد استغل الحق تبارك وتعالى هذا اللفظ ﴿ كُتِبَ ﴾ فى آية إصلاح المجتمعات من عادة مدمرة مهلكة فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى . . ﴾[1] .

واستعمله فى إصلاح الأسر وتكافلها وتضامنها . وتعاون الأغنياء مع الفقراء حتى يسود الحب والوئام بين أفراد الأسرة الواحدة فقال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ . . ﴾[2] .

وتقديم إصلاح المجتمع ، وإصلاح الأسرة ، على إصلاح

(١) البقرة : ١٧٨ . (٢) البقرة ١٨٠ .

النفس البشرية فى الرد الشافى على أعداء الدين من الكافرين والمنافقين الذين يقولون :

«إن الدين علاقة فردية ، بين العبد وخالقه، ولا دخل له فى شئون المجتمع وقد أقام رسول الله - ﷺ - الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة ، وطبق منهاج السماء على أهل الأرض تطبيقًا عملياً ، وصار أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين من بعده على هذا المنوال حتى ثبتت دعائم الدولة الإسلامية» .

ولذلك هاجر رسول الله - ﷺ - وأصحابه من مكة إلى المدينة وتركوا أوطانهم وأموالهم ، وأقاربهم لإقامة الدولة الإسلامية، أفلا تعقلون أيها المنافقون؟[1] .

وكما أن الصيام غذاء روحى ، وتهذيب أخلاقى ، فهو أيضاً سلامة للأبدان مثل ضغط الدم المرتفع ، وتصلب الشرايين ، والبول السكرى وفيه إصلاح للجهاز الهضمى ، وعلاج لهبوط القلب والتهاب المفاصل ، وغير ذلك من الفوائد الطبية، ولذلك ور د فى الأثر « **صوموا تصحوا** » وكل الأطباء يمنعون مرضاهم عن تناول الطعام إلا بمقدار يسير، والمعدة بيت الداء، والحمية هى الشفاء .

---

(١) وقد استعمل لفظ (كتب) في فريضة الجهاد في سبيل الله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ..﴾ ومن هنا ندرك العلاقة بين الصيام والجهاد فشهر رمضان شهر الصوم وشهر النصر انتصار على النفس وشهواتها وعلى الأعداء وظلمهم وبغيهم .

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾

فرض الحق تبارك وتعالى الصيام على جميع الأمم السابقة، قبل الأمة الإسلامية، فهى عبادة قديمة لم تفرض عليكم وحدكم، وهذا يدل على عظم شأنها فى تربية النفوس، وتهذيب الأخلاق، والتحكم فى الشهوات والغرائز.

وقد اختلف العلماء فى صيام الأمم السابقة: ـ

فقال بعضهم: هو مختلف عن صيامنا فى الكيفية والمقدار والوقت، وقال آخرون: إن الله قد كتب على **«أهل الكتاب»** صوم رمضان ولكن الأحبار والرهبان قد غيروا وبدلوا، أما اليهود فقد تركت صوم هذا الشهر، وصامت يوماً من السنة، وزعموا أنه يوم أغرق فيه الله فرعون وجنوده فى البحر، وقد كذبوا فى تحديد اليوم، لأن اليوم الذى أغرق فيه الحق تبارك وتعالى فرعون وجنوده هو يوم **«عاشوراء»**، وأما **«النصارى»** فإنهم صاموا رمضان، فصادفوا فيه الحر الشديد، فحولوه إلى وقت ثابت لا يتغير، ثم زادوا عند هذا التحويل فيه عشراً، ثم بعد ذلك اشتكى ملك لهم من مرض، فنذر سبعاً فزادوه، ثم جاء ملك آخر فقال: ما بال هذه الثلاثة، فأتمه خمسين يوماً، وهذا معنى قول الحق تبارك وتعالى **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾** (١).

---

(١) التوبة (٣١).

ولكل عبادة ثمرة ، وثمرة الصوم هي التقوى ولذلك ختم الحق تبارك وتعالى هذه الآية بقوله : ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . . .** ﴾ .

فالصوم أداة من أدوات التقوى ، وطريق موصل إليها والتقوى هي الهدف من الدين . ولذلك كان كل رسول يقول لقومه : ـ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾(١) .

وقال الحق تبارك وتعالى للناس جميعاً : ـ

﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(٢) .

فالتقوى لا تتحقق إلا بالالتزام بمنهاج الله وشريعته ولذلك قال الإمام عليّ ـ كرم الله وجهه ـ رضي الله عنه ـ

« التقوى هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل » .

---

(١) الشعراء (١٠٧، ١٠٨) .
(٢) الأنعام (١٥٣) .

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الدين الإسلامى دين مبنى على اليسر لا العسر ، فلم يكلف الله عباده مالا يطيقون

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا .... ﴾[1] .

ولذلك فقد جعل الصيام ، أياماً معدودات قليلة ، ومن رحمته بعباده أنه لم يفرض عليهم صيام الدهر كله أو نصفه أو ربعه ، بل فرض أياماً معدودة قليلة وقد أباح للمريض ، وللمسافر الفطر والقضاء .

وعلى الذين يتحملون الصوم بمشقة شديدة كالشيوخ والضعفاء ، والمرضى الذين لا يرجى شفاؤهم ، هؤلاء وأمثالهم عليهم الفطر والفدية .

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾

صوموا أياماً قليلة لأن الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، والمراد بهذه الأيام المعدودات ، هو شهر رمضان وهذا ما يدل عليه السياق ، وهو ما قال به أكثر المحققين كابن عباس والحسن وأبى مسلم وغيرهم من العلماء المحققين .

(١) البقرة : (٢٨٦) .

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

واختلف العلماء فى المرض المبيح للفطر ، قال بعضهم : أى مريض كان، وأى مسافر كان ، لأن الآية مطلقة وغير مقيدة فأى مرض ، وأى سفر مسوغ للفطر .

وقال أكثر الفقهاء : إن المرض المبيح للفطر هو الذى يؤدى إلى ضرر فى النفس أو زيادة فى العلة ، وهذا هو الرأى الذى نؤيده ، ونميل إليه ، فبعض الأمراض تعالج الآن بالصوم ، واختلف العلماء أيضا فى السفر المسوغ للفطر :

فقال بعضهم : أى سفر مسوغ للفطر ، وذلك لأن الآية مطلقة وغير مقيدة وقدره بعض العلماء بسفر يزيد على «**٨٤ك/م**» ــ أربعة وثمانون كيلو متر ــ وعلى العموم فهذه رخصة ، فلك أن تأخذ بها ، ولك أن تتركها . عن أبى الدرداء ــ رضي الله عنه ــ قال خرجنا مع رسول الله ــ ﷺ ــ فى رمضان فى حر شديد ، حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله ــ ﷺ ــ ، وابن رواحة ــ رضي الله عنه ــ .

وعن أنس ــ رضي الله عنه ــ قال : ــ

« كنا مع النبى ــ ﷺ ــ ، فمنا الصائم ، ومنا المفطر ، فلا الصائم يعيب على المفطر ، ولا المفطر يعيب على الصائم»

والحق تبارك وتعالى إنما أطلق ولم يقيد ، لأن العبادات

تقوم على تقوى القلوب .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وإذا وجدت التقوى، فلن يستخدم الإنسان الرخصة إلا حيث يرتضيها قلبه، ويراها هى الأولى .

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : ـ

« خرج رسول الله ـ ﷺ ـ عام الفتح إلى مكة ، فصام حتى بلغ « كراع الغميم » فصام الناس ، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب ، فقيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام فقال : ـ « **أولئك العصاة ،أولئك العصاة**»

وذلك لأن فعلهم هذا تنطع فى الدين ، فرسول الله ـ ﷺ ـ هو أتقى الناس وأعبدهم لله، وهو الذى يشرع للناس، ويرى مالايراه الناس فهو طبيب الإنسانية، ومعلم البشرية .

﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾

وقد اختلف المفسرون فى معنى ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ..**﴾ فقال بعضهم : يستطيعونه ، وهذا الحكم منسوخ بآية ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾وكان هذا الحكم منسوخ فى بدء فرضية الصيام . وقال بعضهم : ـ﴿**يُطِيقُونَهُ** ﴾ يتحملونه بمشقة ، فقد رخص لهم الحق تبارك وتعالى الفطر مع الفدية، ثم رفعت هذه الرخصة ، بعد أن حببهم فى اختيار الصوم مع المشقة فقال ﴿**وَأَن**

تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فالصوم خير من الإفطار مع الفدية، ثم نسخ هذا الحكم .

وقال بعضهم : الآية غير منسوخة، وقد نزلت فى الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة فهما لا يستطيعان الصيام، فعليهما الفطر والفدية .

وقال الإمام «محمد عبده» : ـ فى معنى ﴿ . . يُطِيقُونَهُ . . . ﴾ الإطاقة أدنى درجات المكنة ، والقدرة على الشئ ، فلا تقول العرب «أطاق الشئ» إلا إذا كانت قدرته فى نهاية الضعف بحيث يتحمل مشقة شديدة .

والمراد بها هنا : الشيوخ والضعفاء، والحوامل، والمراضع، والفعلة الدائمون الذين يقومون بالأشغال الشاقة، والفدية إطعام مسكين ، ومن زاد فى ذلك زاد الله له فى الثواب ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾

ثم ختم الحق تبارك وتعالى هذه الآية بقوله : ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

وهذا خطاب عام موجه إلى كل من تقدم ذكرهم، فقد يكون فى الصوم خير لكل من المريض، والمسافر، والذين يتحملونه بمشقة وتعب، ومن فعل ذلك فله ثواب عظيم عند الله لأنه آثر عبادة الله على راحة الأبدان، والله هو الموفق وهو المستعان .

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(1)

هذا شهر عظيم حبّبه الله إلى نفوس المؤمنين ، وكرّمه بنزول القرآن الكريم فيه ، والقرآن هو منهاج السماء الربانى ، الذى أخرج الأمة من الظلمات إلى النور ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس ولم تكن من قبل شيئاً مذكوراً .

فيه مقومات الأمم وحياتها ، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(2) .

من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به هدى إلى صراط مستقيم ، والقرآن هدية الله ، وهدايته للناس أجمعين .

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾

---

(1) البقرة((١٨٥) . (2) الأنفال : (٢٤) .

يا أمة الإسلام ، لا فلاح لكم إلا باتباع القرآن ، ففيه سعادتكم في الدنيا والآخرة .

حصنوا أنفسكم بالقرآن ، واتخذوا منه زادًا ومددًا، لتنفرج الكروب وتجتمع القلوب، وتعتصم بحبل الله المتين .

﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[1] .

ولا تتبعوا الضالين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه لتوافق أهواءهم وأهواء حكامهم خوفاً وطمعاً فهؤلاء قد ضلوا السبيل، واتبعوا الشياطين، فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

ولقد أنزل الحق تبارك وتعالى القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ثم نزل القرآن بعد ذلك منجماً، لتثبيت قلب النبي ـ ﷺ ـ والمؤمنين .

ولقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك في قوله تعالى :ـ

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[2] .

وعلى المسلمين أن يشكروا الله على هذه النعمة الكبرى وذلك بصوم هذا الشهر المبارك الذي أنزل فيه القرآن ، يقول الحق

---

(١) آل عمران : (١٠٣) . (٢) الفرقان : (٣٢) .

تبارك وتعالى : ـ

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فمن أدرك هذا الشهر ، وهو صحيح غير مريض ، ومقيم غير مسافر فعليه أن يصوم هذا الشهر العظيم المبارك ، ولما كان هذا التعبير عاماً، فقد استثنى منه الحق تبارك وتعالى «المريض والمسافر» فقال : ـ

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وهذه رخصة من الله لعباده ، وعلى عباد الله أن يتقوا الله فى رخص الله فلا فطر إلا مع المشقة ، وتوقع الضرر من الصوم ، وعليهم أن يستتروا إذا أفطروا ، حتى لا يكونوا قدوة سيئة لغيرهم لأن الناس لا تعرف حقيقة ما هم عليه من مرض أو سفر .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ من رحمة الله بعباده أنه يسَّر عليهم، لم يعَسر قال رسول الله ـ ﷺ ـ :ـ

« **إن الله إنما أراد بهذه الأمة اليسر ،ولم يرد بهم العسر** » . وقال ـ ﷺ ـ : « **بعثت بالحنيفية السهلة السمحة** » .

ولقد رخص الحق تبارك وتعالى للمريض والمسافر بالفطر ، وجاء هذا التعبير ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ليدل على أن من صام وهو «مريض أو مسافر »ووجد مشقة وعسراً، فله أن يفطر يسراً له ومن هنا ندرك أن الإفطار خاص بالمشقة والعسر ، فالله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر .

وهذا التعبير يوحى بأن مطلوبات الإيمان ، إذا استقرت فى النفوس وذاق الإنسان حلاوتها ، زالت عنها المشقات ،

وأصبحت محبوبة معشوقة للعابد ، فإن الروح تسمو ، وإذا سمت الروح وارتقت ، فإن الجسد لا يشعر بالتعب ولا بالمشقة ، بل يجد لذة وسعادة ولذلك نجد الإنسان عند أداء فريضة الحج ينام قليلاً ، ويستيقظ نشيطاً ، وقال أحد الصالحين : «نحن فى سعادة لو أدركها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف» .

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾

ولتكملوا صيام رمضان ، أداءً للسليم والمقيم ، وقضاء للمريض والمسافر ، والعبادات نعمة من نعم الله على بنى الإنسان تستحق منه التكبير والشكر **﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾** فإذا أدى الإنسان هذه الفريضة كما يجب ، وامتنعت الأعضاء عما حرم الله ، وتكونت فى الإنسان ملكة الحياء من الله ، والمراقبة له ، كان من المتقين لأن التقوى ثمرة الصيام ، والحق تبارك وتعالى يقول : ـ **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾**(١) .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ـ « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه** » .

لذلك يجب على الإنسان الذى استفاد من هذه الفريضة كل هذا الخير أن يكبر الله على ما أعطاه من خير عميم ، وفضل كثير الله أكبر ـ الله أكبر ، لقد حرم الإنسان من القليل ، وأعطاه الله الكثير ، ثم ختم الحق تبارك وتعالى هذه الآية بقوله : ـ

---

(١) الأعراف : (٢٠١) .

﴿ولعلكم تشكرون﴾

ومن شكر الله زاده الله من نعمه ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم....﴾(١).

مر بعض الصالحين على شباب فى عيد الفطر، وقد انصرفوا إلى اللهو والمجون فقال لهم : يا هؤلاء، إن كان صومكم قد قبل، فليس هذا عمل الشاكرين وإن لم يكن صومكم قبل، فليس هذا عمل المحزونين ، فأثر ذلك فيهم فتركوا لهوهم ولعبهم، وأقبلوا على ربهم.

---

(١) ابراهيم : (٧).

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾

الحق تبارك وتعالى مطلع على عباده ، يعلم ذكرهم وشكرهم ويسمع نداءهم ويستجيب لدعائهم ، ولا يخيب رجاءهم ، فقد ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة « **ثلاثة لا ترد دعوتهم ،الصائم حتى يفطر ،والإمام العادل ،ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ،وتفتح لها أبواب السماء ،ويقول الرب :وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين**»

وهذه الآية جاءت بين آيات أحكام الصيام ، لترغب فى هذه الفريضة ولتبين أن الصائم قريب من الله ، قريب من الجنة ، ومن كان قريباً من الله كان بعيداً عن الشيطان ، ومن بعد عن الشيطان بعد عن النيران ولأنه استجاب لأمر الله ، وأقبل على طاعته ، وهذا هو الجزاء ، والجزاء من جنس العمل ، والدعاء مخ العبادة ، ومفتاح باب السماء ، ومن أراد أن يستجيب الله لدعائه فعليه أن يبتعد عن الحرام ، ويأكل الحلال ، كما قال رسول ـ ﷺ ـ : ـ «**يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**» .

وذكر النبى ـ ﷺ ـ «**الرجل يطيل السفر يمد يده إلى السماء ،أشعث أغبر ، يقول : يارب ،يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذّى بالحرام فأنى يستجاب لذلك**»

فهل فهم المسلمون لماذا لم يستجب الله لهم ؟فهم يأكلون

الحرام، ويسيرون وراء الشيطان والهوى، فأنى يستجاب لهم؟

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾

«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» .

﴿عِبَادِي﴾

إضافة العباد لله، يدل على أنهم له لا لغيره، يطيعونه ولا يطيعون سواه، وهؤلاء هم عباد الرحمن كما قال الحق تبارك وتعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ..﴾إلى قوله﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[1].

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

وهذا رد مباشر على عباده، ومن كان قريباً من الله، ملتزماً بشرعه ومنهاجه، كان الله معه بالعناية والرعاية يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[2].

وروى عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «قال الله تعالى، أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه»

والدعاء لا يحتاج إلى واسطة بين العبد وربه، ولذلك جاء الجواب منه لعباده مباشرة، وإن كان الذي سيبلغ الجواب هو

(١) الفرقان: (٦٣ ـ ٧٦) . ٢) النحل: (١٢٨) .

رسول الله ـ ﷺ ـ وليرغب الحق تبارك وتعالى العباد فى الدعاء قال ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ ولم يقل : قل لهم يا محمد إن ربكم قريب .

﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

فعباد الله ، الذين التزموا منهج الله ، وأقروا بالعبودية لله ، فلم يخضعوا لأحد سواه ، إذا دعوا الله ، استجاب الله لهم ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : ـ « **ما من رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له ،فإما أن يعجل له فى الدنيا ،وإما أن يدخر له فى الآخرة ،وإما أن يكفر عنه ذنوبه بقدر ما دعا ،مالم يدع بإثم أو قطيعة أو يستعجل** » . قالوا : يار سول الله ، وكيف يستعجل ؟ قال : « **يقول دعوت ربى ،فما استجاب لى** »

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾

من أراد استجابة دعائه ، فليستجب لله ، وليتأدب مع الله ، ويتبع منهاج الله ، أما من حارب الله ، وحارب منهاج الله فكيف يستجيب له الله؟وهذا هو الشرط الأول ، الشرط الثانى هو :

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِى﴾

وليؤمنوا بى إيماناً صادقًا ، قولاً وعملاً وسلوكاً ، ونظام حياة وعلامة الإيمان الصادق هو «طاعة الله» ، لا طاعة أحد سواه إذا عصى الله ، ويختم الحق تبارك وتعالى هذه الآية بقوله :

﴿ لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾

وهذه هى ثمرة الإيمان، والاستجابة لله، وطاعته والسير على منهاجه والثمرة المرجوة هى الرشد والاهتداء إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، وهذا هو طريق السعادة فى الدنيا والآخرة

يقول الحق تبارك وتعالى : ـ

﴿ . . . فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١) .

فالسعادة كل السعادة فى الدنيا والآخرة، هى اتباع هذا المنهج الربانى، والنور السماوى .

والشقاء كل الشقاء فى الدنيا والآخرة هو فى الابتعاد عن هذا المنهج الربانى ، والنور الإلهى، والحكم بغير ما أنزل الله : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢)

اللهم إنك تعلم أن فينا الداء ،وبين أيدينا الدواء .

اللهم إن هذا خذلان منك ،فأدركنا برحمتك وهيئ لنا من أمرنا رشداً اللهم إنك بالإجابة جدير ،وأنت مولانا فنعم المولى، ونعم النصير .

اللهم إنادعوناك كما أمرتنا ،فاستجب لدعائنا كما وعدتنا فإنك لا تخلف الميعاد .

---

(١) طه : (١٢٣، ١٢٤) . (٢) المائدة : (٥٠) .

في أنوار الآيات:ـ

* **شهر رمضان شهر عظيم شهر مبارك:** قال سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ : « خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ في آخر يوم من شعبان فقال : «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ،فيه ليلة خير من ألف شهر ،جعل الله صيام نهاره فريضة ،وقيام ليله تطوعاً ،من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ،ومن أدى فيه فريضة ،كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ،وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ،وشهر المواساة ،وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ،من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ،وعتقاً لرقبته من النار ،وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء »قالوا : يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه؟ فقال ـ ﷺ ـ : « يعطى الله هذا الثواب ،لمن فطر صائماً على تمرة ،أو على شربة ماء أو مذقة لبن ،وهو شهر أوله رحمة ،وأوسطه مغفرة ،وآخره عتق من النار ،واستكثروا فيه من أربع خصال :خصلتين ترضون بهما ربكم ،وخصلتين لاغناء بكم عنهما .فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة لا إله إلا الله وتستغفرونه ،وأما اللتان لا غناء بكم عنهما ،فتسألون الله الجنة ،وتعوذون به من النار ،ومن سقى صائماً ، سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة»

ويقول الإمام الغزالي ـ رضي الله عنه ـ :ـ

«الصوم زكاة للنفس ، ورياضة للجسم ، وداعٍ للبر ، فهو

للإنسان وقاية وللجماعة صيانة، وفى جوع الإنسان صفاء القلب، وإبقاء القريحة، وإنقاذ البصيرة لأن الشبع يورث البلادة، ويعمى القلب، ويكثر البخار فى الدماغ فيتبلد الذهن، والصبى إذا ما كثر أكله بطل حفظه، وفسد ذهنه»

ورمضان شهر الصحة والنصر، فالصوم صحة للأبدان كما أشار بذلك الأطباء وهم أهل العلم والدراية، والحق تبارك وتعالى يقول : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١).

يقول الدكتور« ماك فادون» الطبيب الأمريكى الكبير وهو واحد من الأطباء العالميين الذين عالجوا مرضاهم بالصوم وخرجوا بأعظم النتائج فى القضاء على الأمراض المستعصية، وقد ألف كتاباً عن الصوم، ضمنه تجاربه العديدة، وفى هذا الكتاب يقول : « إن كل إنسان يحتاج إلى الصيام، وإن لم يكن مريضاً، لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع فى الجسم ، فتجعله كالمريض، فإذا صام خف وزنه وتحللت هذه السموم من جسمه بعد أن كانت مجتمعه ، فتذهب عنه حتى يصفو صفاء تام. ويستطيع أن يسترد وزنه ويجدد جسمه فى مدة لا تزيد على العشرين يوماً بعد الإفطار، ويحس بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل »

ويقول الدكتور«فادون» أيضاً :

---

(١) الأنبياء :(٧) .

« إن أكثر الأمراض تأثراً بالصيام أمراض المعدة، فالصوم لها مثل العصا السحرية، يسارع فى شفائها، ويرى المعالج به العجب العجاب، وتليها أمراض الدم، ثم أمراض العروق كالروماتيزم » .

ويقول الدكتور عبدالباسط الأعصر أستاذ الأورام بجامعة القاهرة، موضحاً بعض فوائد الصوم الطبية :-

يقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم : ﴿**وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ .

ويقول الحديث النبوى الشريف «**صوموا تصحوا**» .

هذه النصوص الإسلامية، تؤكدها التجارب العلمية، والتقارير الطبية، فقد أوضحت كل التجارب العلمية العالمية، أن الخلايا السرطانية داخل جسم الإنسان شرهة جداً على عكس الخلايا الطبيعية، فإذا كانت الخلايا الطبيعية تحصل على الغذاء الملائم والمتوافر فى الدم من أحماض أمينية وجلوكوز، ودهنيات، وفيتامينات، وأملاح معدنية، فإن الخلايا السرطانية، نظراً لشراهتها تحتاج إلى نسبة كبيرة جداً من هذه العناصر الغذائية وخاصة الأحماض الأمينية، وعلى جانب آخر أثبتت التجارب التى أجريت فى المعامل على حيوانات التجارب أن حرمان هذه الحيوانات الحاملة للخلايا السرطانية من الطعام والغذاء لفترات طويلة قد قلل من معدل الورم السرطانى فيها،

ومن خلال هذه التجارب التى أجريت على الحيوانات، ثبت أن الصوم أمر ضرورى للحيوانات المصابة بالخلايا السرطانية، وعلى هذا فإن الصوم فيه فائدة كبيرة للأشخاص المصابين بالخلايا السرطانية .

ويقول الدكتور« يسرى عبدالمحسن »أستاذ الأمراض النفسية والعصبية بجامعة القاهرة :ـ

«إن الصوم يساعد الأفراد على التخلص من العصبية الزائدة والتوتر والقلق ويدخل على أنفسهم حالة من الطمأنينة والسكينة والصفاء النفسى والروحى لأن الإنسان يستعين بإرادته فى التخلص من العصبية والتوتر وسوء الفهم حتى يكون الصيام قد حقق كل الفوائدالمرجوة منه » .

ويقول الدكتور«جمال ماضى أبو العزايم» مستشار الأمراض النفسية ورئيس الجمعية الإسلامية العالمية للطب النفسى :

« إن الصوم عبادة نفسية، تساعد على التشخيص، وعلاج الاضطراب النفسى، وإذا كان هناك ثورة لبعض الصائمين فى الأيام الأولى من الشهر الكريم، فهذا يؤكد أن هؤلاء سريعوا الانفعال، لا يستطيعون الصبر كثيراً والصوم يظهر هذه الشخصية سريعة الانفعال ، وينصح الدكتور«جمال» الذين يشعرون بالقلق والتوتر فى رمضان بالتقرب إلى الله ، وأن يكثروا من قراءة القرآن فذكر الله خير واق من التوتر والقلق ، فكلما ذكر الإنسان ربه

ازداد طمأنينة وسكينة، وابتعد عن دائرة الخطر واقترب من النجاة .

وصدق الله العظيم إذ يقول :ــ

﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[١] .

ويقول الدكتور «عبد المنعم حسب الله» أستاذ الأمراض الباطنية بجامعة القاهرة :

«إن الأسلوب الذى تعلمناه من سنة رسول الله ــ ﷺ ــ ، لكيفية تناول الطعام عند الإفطار فى رمضان هو ما ينصح به الطب الحديث فقد كان رسول الله ــ ﷺ ــ يفطر على سائل «على اللبن ــ أو التمر المنقوع ــ أو الماء» ويصلى المغرب ثم يتناول طعام الإفطار، والابتداء بالسوائل يزيل الجفاف عن الجسم ، ويعوضه عما فقد منه فإذا كان الصائم قدأفطر على الماء أنصحه بأن يبدأ إفطاره عقب صلاة المغرب مباشرة، أما إذا كان الصائم قد أفطر على عصائر أو شُرْبه، فيجب أن يبدأ إفطاره بعد نصف ساعة وينصح بأن يتناول الصائم طعامه على مهل ، فيجب أن يمضغ الطعام جيداً ، كعامل أساسى فى عملية الهضم ، فإذا لم يمضغ الطعام جيداً فإن عملية الهضم لا تتم على الوجه الأكمل .

ويقول الدكتور« محمد عبد الوهاب» استشارى الجراحة :ــ« إن من فوائد الصوم المباشرة وغير المباشرة على المستوى العلاجى تحسن حوالى ثلث الأمراض الناتجة عن سوء

(١) الرعد : (٢٨) .

الهضم والتمثيل الغذائى، تحسناً ملحوظاً بفعل الصيام دون التأثر بالأعراض الجانبية التى تنتج عن تناول الأدوية أوإجراء العمليات الجراحية، وبجانب ذلك يعد الصوم من أنجح الوسائل للتخلص من السمنة، خاصة فى فترات التحضير للعمليات الجراحية الكبيرة عند البدناء والمصابين بارتفاع شحوم الدم، أما الذين يعانون من مرض السكر، فيكفيهم الصوم لإنقاص وزنهم إلى حد معين تزول معظم الأمراض الناتجة عن المرض، ومن الأمراض التى ثبت بشكل قاطع أنها تتحسن بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق الصيام، ارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب بأنواعها، وارتفاع نسبة الكوليسترول بالدم، وقرحة الدوالى التى تصيب الساق، والجلطة العميقة بالساق، وحب الشباب والصدفية والحساسية، والربوالشعبى .

ورمضان شهر الصبر والنصر

فلقد انتصر فيه المسلمون قديماً وحديثاً على أعدائهم وإليك بعض هذه المعارك الإسلاميةالتى وقعت فى هذا الشهر العظيم المبارك :ــ

* فى السنة الثانية للهجرة ، وفى يوم١٧ رمضان وقعت معركة «**بدرالكبرى**» وفيها أحرز المسلمون أول انتصار حاسم على قوى الشرك والباطل والعدوان .

* فى رمضان من السنة الثالثة للهجرة كانت استعدادات المسلمين لصد عدوان المشركين الذين انهزموا فى «**بدر**» .

وهو العدوان الذى حدث فعلاً فى غزوة «**أحد**» التى وقعت يوم ٧ شوال من نفس العام .

* فى رمضان من السنة الخامسة للهجرة ، كان استعداد المسلمين لغزوة « **الخندق** » بعد أن حرض اليهود قريشاً ، والقبائل لشن الحروب ضد المسلمين وقد وقعت هذه الغزوة فى شوال من نفس العام .

* فى يوم ٢١ رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، **فتحت مكة** ، وفى رمضان من نفس هذه السنة بعث الرسول ـ ﷺ ـ عدة سرايا لهدم الأصنام فكانت سرية خالد بن الوليد لهدم **العزى** ، وسرية عمرو بن العاص لهدم **سواع** ، وسرية سعد بن زيد الأشهلى لهدم **مناة** .

* وفى رمضان فى السنة الواحدة والتسعين من الهجرة نزل المسلمون إلى الشاطئ الجنوبى لبلاد الأندلس .

* وفى رمضان فى السنة الثالثة والتسعين من الهجرة انتصر طارق بن زياد على الملك « رودريك» فى معركة فاصلة .

* وفى رمضان سنة ٥٨٤هـ استرد القائد المسلم صلاح الدين معظم البلاد التى استولى عليها الصليبيون ، وفى منتصف هذا الشهر من السنة نفسها استولى المسلمون على قلعة « **صفد** » الحصينة من الصليبيين .

* وفى رمضان سنة ٦٥٨ هـ هزم الجيش المصرى جيوش التتار فى معركة « عين جالوت» واستطاع وقف الزحف التتارى المدمر الذى كان يجتاح العالم العربى الإسلامى فى ذلك التاريخ .

* وفى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ انتصر المسلمون على أعدائهم من اليهود ، وعبروا القناة ، وحطموا **خط بارليف**، وكان شعارهم «**الله أكبر،الله أكبر**» ، ولقد قذف الحق تبارك وتعالى فى قلوب اليهود الرعب بعد أن ظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، والحق تبارك وتعالى يقول :ـ

﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾[1] .

يا قوم:

* إن المسجد الأقصى يناديكم .

* إن البوسنة والهرسك تناديكم .

* إن كشمير تناديكم أن تنقذوا المسلمين من عُبَّاد البقر .

* إن الشيشان تناديكم فلبوا النداء .

---

(١) الحشر :(١٤) .

* أما آن لكم أن تستيقظوا من سباتكم العميق ، وتنهضوا بواجبكم نحو دينكم وإخوانكم المستضعفين فى الأرض .

* أما آن لكم أن تسمعوا نداء العذارى، وبكاء الثكالى ، وانتحاب الأمهات، وقد اعتدى عليهن وحوش الصرب، لقد استغثن بالمسلمين ولا مغيث ، أين أنتم أيها المسلمون ؟ ألا يوجد فيكم رجل رشيد ؟!!!!

يا قوم:-

لقد هدمت المساجد ، وهتكت الأعراض، وشرد الشيوخ والأطفال ، فأين أنتم يا من تدعون الإسلام؟

يا قوم :-

اتقوا الله ، وتصالحوا مع منهج الله ، وسنة رسول الله ، لتنتصروا على أعدائكم كما انتصر أسلافكم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[1] .

إنى تذكرت والذكرى مؤرقتى مجداً تليداً بأيدينا أضعناه
أنى اتجهت إلى الإسلام فى بلد تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

اللهم إنك تعلم أن فينا الداء ،وبين أيدينا الدواء ،اللهم إن هذا خذلان منك فأدركنا برحمتك وهيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهم وفق حكام المسلمين إلى مافيه خير العباد والبلاد ،إنك سميع الدعاء .

(١) محمد : (٧) .

الترغيب فى عبادة الصوم:

* الصوم عبادة ربانية ، هدفها الوصول بالإنسانية إلى بر الأمان وطريق النجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة ، ومن أجل ذلك رغبنا الحق تبارك وتعالى فى هذه العبادة بوسائل كثيرة ومرغبات متنوعة ، وأساليب شتى .

وإليك يا أخى بعضها :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

نداء من الخالق إلى المخلوقين من عباده المؤمنين ، وهونداء محبب إلى النفوس ، يقول أحد الحكماء : « إذا سمعت هذا النداء فأصغ إليه جيداً ، واستجب له مسرعاً ، فإنه إما يأمرك بخير وإما ينهاك عن شر » .

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

فالصيام خير للنفس البشرية ، ولذلك فرض عليكم وعلى الأمم من قبلكم ، وفى هذا دليل على وحدة الدين الإلهى فى أصوله ومقصده ، وفيه دليل على أن هذا الدين الإسلامى من عند الله وفيه تأكيد على فرضية الصيام ، وترغيب فيه .

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

هذا هو الهدف من الصيام ، والغاية من فرضيته ، والحكمة فى فرضيته فلكل عبادة من العبادات التى فرضها الحق تبارك

وتعالى هدف وغاية، وثمرة مرجوة منها، فإذا تحققت هذه الثمرة فمعنى ذلك أن الإنسان قد أدى هذه العبادة على وجهها الأكمل، وإذا لم تتحقق تلك الثمرة فمعنى ذلك أن فى أداء هذه العبادة خللاً وعيباً، فليراجع الإنسان نفسه، وليحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وليبتعد عن المظهرية والشكليات فى العبادات، وليخلص فى أدائها حتى تتحقق الثمرة المرجوة منها. وتتجلى التقوى فى الصيام فى أسمى مراتبها فالصوم تدريب وامتناع عما أحل الله لك، فى فترة زمنية محددة، لتتعود عن الامتناع عما حرم الله فى كل الأوقات.

فكيف أيهاالصائم تمسك عما أحل الله لك، وترتكب ما حرم الله عليك ؟!!! ولذلك قال رسول الله - ﷺ - : « **من لم يدع قول الزور أو العمل به ،فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**»، وقال :-

« **كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**».

كيف تدعى الصوم، والله يراك حيث نهاك؟ واعلم يا أخى أن التقوى هى خير زاد للعباد، يقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾(١).

---

(١) البقرة: (١٩٧).

ويقول الإمام علىّ - رضي الله عنه - التقوى هى : -

الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

ويقول مجاهد : التقوى هى : -

أن يطاع الله فلا يُعْصى ، وأن يذكر فلا يُنْسى ، وأن يُشْكر فلا يكفر ، فأين أنت الآن يا مسلم من تقوى الله؟

يا مسلماً تدعى الإسلام مجاناً

هلا أقمت على دعواك برهاناً

يا مسلم :-

لقد علمتنا التجارب ، وحدثنا التاريخ ، وأثبت الواقع أن الله مع المتقين ، يصلح شأنهم ، ويبارك فى أرزاقهم ، ويُعْلى قدرهم، وعش معى يا أخى مع بعض آيات القرآن فى هذا الموضوع بقلبك وعقلك ، يقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١) .

ويقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾(٢) .

---

(١) النحل : (١٢٨) .　　(٢) الطلاق : (٢، ٣) .

وقال تعالى أيضاً ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾(١)

وقال تعالى أيضاً : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾(٢) .

وهذا وعد من الله ، والله لا يخلف موعده ، وهذه آية تصلح لأن تكون منارة يستمد منها دستور الأمة الإسلامية يقول الحق تبارك وتعالى : ـ

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٣) .

وانظر يا أخي إلى ما قاله أحد عظماء الروم ، لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ « لقد وجدت في كتابكم آية ، جمعت كل ما في الكتب السماوية » فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ : وماهي ؟

فتلا الرومي هذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ ...﴾ ، ثم قال له : إليك تفسيرها يا أمير المؤمنين كما فهمتها : ـ « ومن يطع الله في الفرائض ، ورسوله في السنن ، ويخش الله فيما مضى ، ويتقه فيما هو آت ، فقد فاز فوزاً عظيماً ، والفائز هو من زُحزح عن النار ، وأدخل الجنة » .

فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ : ـ « فكن من أجل ذلك تقياً نقياً » .

---

(١) ، (٢) الطلاق : (٤ ، ٥) .
(٣) النور : (٥٢) .

وانظر يا أخى بقلبك وعقلك فيما قاله رسول الله ـ ﷺ ـ :ـ

« اتق الله حيثما كنت ،وأتبع السيئة الحسنة تمحها ،وخالق الناس بخلق حسن» .

فطوبى للمتقين، الذين وصفهم الحق تبارك وتعالى في أول سورة مدنية : **﴿الٓمٓ ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . . أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**(1) .

ذلك يا أخى هو الكتاب الذى يقول عنه المنافقون من المسلمين :ـ إنه لا يصلح لأن يكون دستوراً ومنهاجاً لحياة الأمم فى عصرنا الحاضر، وآية واحدة من آياته تصلح لأن تكون منارة ودستوراً .

ياقوم :ـ

افهموا القرآن الكريم، وعار عليكم ألا تفهموه، وأعداؤكم يفهمونه، افهموا هذه الآية كما فهمها هذا الرومى، فهى آية جمعت كل ما فى الكتب السماوية السابقة .

هذه شهادة، والخير ما شهدت به الأعداء .

والصيام يا أخى وسيلة موصلة لنيل صفة المتقين، وأداة لاكتساب ملكة التقوى ولذلك كان جزاء الصائمين عند الله

(1) أول سورة البقرة :(1-5) .

عظيماً، يقول الله فى الحديث القدسى .

« كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فهو لى وأنا أجزى به، وخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » .

فالصوم عبادة خالصة لله، لا يستولى عليها الرياء والسمعة، وليس كسائر الأعمال التى يطلع عليها الخلق، فلا يؤمن معها الشرك الخفى الذى قال عنه الحق تبارك وتعالى **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾**(١) .

يا قوم:ـ

نريد أن نجنى ثمرة الصوم، نريد أن نكون مع الله، وأن يوصلنا الصوم إلى القرب من الله **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾** .

فأين نحن الآن من هذا الشهر العظيم الذى قال عنه رسولنا ـ ﷺ ـ **« يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار »** .

بعض العمال يفطر جهاراً نهاراً دون خوف أو حياء من الله أو من الناس.

وفى الصوم دواء وشفاء لهم من ثورة الشباب، يقول رسول

(١) آخر سورة الكهف الآية : (١١٠) .

الله ـ ﷺ ـ « **يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » أى وقاية من الوقوع فى المعاصى والزلات .

كثير من الناس يستقبلون هذا الشهر بإعداد ما لذّ وطاب من الطعام والشراب ، وكأنه أصبح فى زماننا هذا شهر الأكل لاشهر الصوم .

وكثير من الصائمين يمتنعون عما أحله الله فى هذا الشهر العظيم ، ويرتكبون ماحرمه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وهؤلاء ليس لهم من صيامهم إلا الجوع والعطش ، هذا الشهر العظيم المبارك تستقبله وسائل الإعلام عندنا بإعداد البرامج اللاهية ، والسهرات التى تغرق الإنسان فى مزيد من الغفلة والنسيان ، والقرب من الشيطان ، والبعد عن الرحمن ، ونوال الغفران ، إنه فى عرف وسائل الإعلام عندنا شهر الفوازير ، وشهر المسلسلات والحفلات الراقصة الماجنة .

فأين نحن الآن يا وسائل الإعلام من شهر القرآن ، شهر الغفران ، شهر الانتصارات ، شهر الرحمات ، شهر الخيرات ، شهر البركات .

ولقد قال الدكتور «على أحمدالخطيب »رئيس تحرير مجلة الأزهر :ـ

« والحق أن الإعلام مُعَرًّى بالأتقياء، مُغَرًّى بالعبث بهم، والإفساد عليهم، والمكر بهم، والسخرية بكل عزيز لديهم، حتى بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وبشريعة رب العالمين ذلك هو الإعلام إلا من عصم ربى، فلا غرْوَ أن يكون الود مفقوداً بين وسائل الإعلام والصائمين، إن طالب الهدى من الإعلام رجل يُغرى إبليس بالتقوى، وهل رأيت أضل ممن تسوؤه توبة ممثلة؟ وقديماً قالت العرب: ــ اليأس إحدى الراحتين. ومع ذلك فالله على كل شئ قدير ».

فيا أيها المسلمون: ــ

«استقبلوا شهر رمضان تائبين نادمين مستغفرين، وافتحوا مع ربكم صفحة جديدة بيضاء نقية عسى أن يغفر لكم فهو القائل: ــ ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾(١).

نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة.

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾

أياماً قليلة، حتى لا نشق عليكم، ومع ذلك فهى كثيرة الفوائد، لمن صام صوماً حقيقياً، لا صوماً مظهرياً لا حياة فيه.

﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

---

(١) طه: (٨٢).

وهذا تخفيف من ربكم ورحمة .

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾

وهذا تيسير وتخفيف آخر .

﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

هذا بيان لما فى الصيام من فوائد جَمَّة للجسم وللروح وللعقل ، فهو الدواء وهو الشفاء لكل أمراض هذا العصر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾

شهر رمضان شهر عظيم مبارك، فضله الله على سائر الشهور ، لأنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن، وهو كتاب الهداية للناس أجمعين ، وهو حجة الله البالغة ومعجزته الخالدة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وهو منهاج رب العباد للعباد، فيه الهداية والسعادة .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾

ولذلك فقد تعهد الله بحفظه من التحريف والتبديل والتغيير، وإخضاعه لهوى الناس .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

ولقد حفظه الحق تبارك وتعالى ، ليصبح دستوراً باقياً على

مـر العـصـور، يجـد فـيـه الناس زادهم الروحى والعـقلى والاجتماعى والاقتصادى، والحياتى فهو الحياة، ولاحياة بدونه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (١).

ولأفضلية هذاالشهر أنزل الله فيه الكتب السماوية المختلفة، ولقد أخرج الطبرانى من حديث وائلة بن الأسقع عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: ـ

« أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان ،وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ،والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ،وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»

وذكر الشيخ محمود الرفاعى فى كتابه « البيان المبين فى علوم كتاب الله رب العالمين » صـ ٣٥، وأخرجه ابن كثير فى تاريخه، من حديث معاوية بن صالح قال: ـ

« أنزلت التوراة على موسى فى ست ليال خلون من رمضان ،ونزل الزبور على داود فى اثنتى عشرة خلت من رمضان ،وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم فى ثمان عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأنزل القرآن على محمد ـ ﷺ ـ فى أربع وعشرين من شهر رمضان أوفى سبع وعشرين منه» على أصح الأقوال.

---

(١) الأنفال: (٢٤).

هذا شهر كله خير ، يومه وليله ، البر فيه موصول ، والخير فيه مأمول ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، هو شهر الطاعات ، وشهر الخيرات ، وشهر الانتصارات ، وآخر هذه الانتصارات ما تحقق في العاشر من رمضان على أرض الكنانة ـ كنانة الله في أرضه ـ حينما رفعنا شعار «**الله أكبر ـ الله أكبر**» تحققت المعجزات ، وحطمنا خط بارليف ولما نسينا أن النصر من عند الله ، وقلنا لا نحارب أمريكا حدثت الثغرة وحدثت معاهدة الذل والعار بعد ذلك ولو سرنا في المعركة كما بدأناها نعتمد على الله ونتوكل عليه ، ولا نخشى أحداً سواه لتحقق الكثير من الانتصارات كما وعدنا الله ـ والله لا يخلف وعده .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[1] .

شهر رمضان شهر غفل عنه المسلمون في عصرنا الحاضر ولذلك تغلب علينا شذاذ الآفاق ، وعُبَّاد البقر والأوثان :ـ

إني تذكرت والذكرى مؤرقتي
مجداً تليداً بأيدينا أضعناه

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد
تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

---

(١) محمد : (٧) .

فأين الصيام الذى يجمع حكام الأمة الإسلامية على كلمة سواء؟ وأين الصيام الذى يعيد للأمة مجدها وعزها؟ وأين الصيام الذى يعبأ الأمة الإسلامية لتحرير المسجد الأقصى من شذاذ الآفاق والذين لعنهم الله فى كل كتاب أنزل ؟

يا مسلمون: ــ

نريد صياماً يؤدى ثمرته فى سلوكنا، وفى واقع حياتنا ، نريد صياماً يقربنا من الله ، ومن رسول الله ، ومن منهاج الله الذى أنزل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، نريد صياماً تتحقق فيه وحدة الأمة الإسلامية حكاماً وشعوباً، نريد صياماً يتحقق فيه العدل بين الحكام والمحكومين، نريد صياماً يتحقق فيه التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع الإسلامى، نريد صياماً تتحقق فيه الكرامة والعزة للشعوب الإسلامية.

فهيّا أيها المسلمون على العمل الجاد المخلص ، نعبد ربنا عبادة أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ حتى نسعد كما سعدوا، ونعتز كما اعتزوا ، وننتصر كما انتصروا، وكفى ما نحن فيه الآن من ضياع وذل وعار وفقد للشخصية، وضياع للهوية الإسلامية، لقد نسينا الله، ومن نسى الله أنساه الله نفسه، والحق تبارك وتعالى يحذرنا من ذلك فيقول : ــ

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

أيها المسلمون :ـ

لا حياة إلا بمنهاج ربنا ، وسنة نبينا :ـ

إذا الإيمان ضــاع فلا أمـان

ولا دنيا لمن لم يـحيي دينا

ومن رضـــى الحياة بغير دين

فقد جــعل الـفناء لها قرينا

اللهم إنك تعلم أن فينا الداء ،وبين أيدينا الدواء .

اللهم إن هذا خذلان منك فأدركنا

برحمتك ،وهيئ لنا من أمرنا رشداً .

اللهم وفق حكام المسلمين إلى ما فيه خير العباد والبلاد .

والقرآن هو منهاج الله، الذي أنزله لهداية عباده ، فيه الهدى والرشاد﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾

من أراد الهدى فى غيره أضله الله ، والصيام ركن أصيل فى هذا المنهج الربانى، وهو مدرسة لتربية الإرادة وعدم تحكم العادة، وارتقاء بالغرائز والشهوات، وعلاج لكثير من أمراض النفوس البشرية، وتدريب وتهذيب للإنسانية، فالذين يعبدون الشهوات ويسيرون وراء الأهواء والرغبات، ويحلون ما حرم الله ويحكمون بغير ما أنزل الله، هؤلاء وأولئك ليس لهم من صيامهم إلا الجوع والعطش، ومن فرط فى دينه، فرط فى كل شئ، فرط فى كرامته، وفى عرضه، وفى وطنه وصار إمَّعَة لا رأى له ، فهو يسير مع الناس حيث ساروا ، ومن نسى الله أنساه نفسه، وأذله فى الدنيا والآخرة، والله لا يهدى القوم الظالمين .

وهذا هو حال المسلمين اليوم ، تركوا منهاج الله وشريعته، وحكموا بغير ما أنزل الله، تركوا الهدى ، وتركوا الفرقان، واتبعوا الهوى والشيطان فصاروا لا يفرقون بين الحق والباطل، وبين الصديق والعدو، وبين ما فيه مصلحتهم وما فيه ضررهم .

﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

بعض المفسرين يقولون : المراد بالشهر هنا الهلال، ومعنى هذا التعبير على هذا الرأى : فمن رأى منكم الهلال فليصم هذا الشهر ومتى ثبتت رؤية الهلال بالعين أو بالسماع، وجب على المسلمين صوم رمضان عملاً بقول رسول الله - ﷺ - :-

«صوموا لرؤيته ،وأفطروا لرؤيته ،فإن غُمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً» .

وجمهور فقهاء المسلمين يرى أنه لا عبرة باختلاف المطالع فى إثبات رؤية هلال رمضان، وعلى هذا الرأى، فإذا رؤى الهلال فى بلد، ولم يره أهل بلد آخر ، وجب على المسلمين جميعاً أن يصوموا برؤية هؤلاء، مادامت بلادهم تشترك مع بلاد من رأوا الهلال فى جزء من الليل ، وهذا يتفق مع ما يقصد إليه الشارع الحكيم، من وحدة المسلمين ، وجمع كلمتهم ، وعدم تفرقهم ، والحق تبارك وتعالى يأمرنا بالوحدة ، وعدم التفرق :-

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...﴾

ويقرر علماء مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى مؤتمرهم الثالث المنعقد بتاريخ ١٣ من رجب سنة ١٣٨٦هـ، ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٦م ما يلى بشأن تحديد أوائل الشهور القمرية :-

* الرؤية هى الأصل فى معرفة دخول أى شهر قمرى كما

يدل عليه الحديث الشريف« **صوموا لرؤيته...** » ، فالرؤية هى الأساس ، لكن لا يعتمد عليها إذا تمكنت منها التهم تمكناً قوياً ، ويكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر والاستفاضة ، كما يكون بخبر الواحد ذكراً كان أو أنثى ، إذا لم تتمكن التهمة فى إخباره لسبب من الأسباب ، ومن هذه الأسباب مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به ، الصادر ممن يوثق به : ـ

* خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، أما إلزام الكافة ، فلا يكون إلا بعد ثبوت الرؤية عند من خصصته الدولة الإسلامية للنظر فى ذلك .

* يعتمد على الحساب الفلكى الموثوق به فى إثبات دخول الشهر إذا لم تتحقق الرؤية ولم يتيسر الوصول إلى تمام الشهر السابق ثلاثين يومًا .

* يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم ، متى كانت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية وإن قل ، ويكون اختلاف المطالع معتبراً بين الأقاليم التى لا تشترك فى جزء من هذه الليلة .

* يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الإسلامية ، أن يكون فى كل إقليم إسلامى « هيئة إسلامية » يناط بها إثبات الشهور القمرية مع مراعاة اتصال بعضها ببعض ، والاتصال بالمراصد

والفلكيين الموثوق بهم»[١] .

هذا هو رأى جمهور فقهاء المسلمين قديمًا وحديثًا، وفق الله حكام المسلمين للعمل بهذا الرأى، ففيه جمع للكلمة، ودعوة إلى الوحدة وعدم التفرق. والدين الإسلامى يدعو الأمة الإسلامية إلى الاتفاق لا إلى الخلاف لأن الاتفاق وجمع الكلمة فيه خير كثير لها، والاختلاف يجعل الأعداء يطمعون فيها، ويعتدون عليها كما هو حادث الآن فى جميع أنحاء العالم الإسلامى :-

إنى تذكرت والذكرى مؤرقتى
مجداً تليدًا بأيدينا أضعناه

أنى اتجهت إلى الإسلام فى بلد
تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

فيا حكام المسلمين :-

اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ،وأعدوا لأعدائكم ما استطعتم من قوة ،ولا تهنوا أو تضعفوا ،وتستسلموا لأعدائكم وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين .فالإيمان عزة وقوة :

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢] .

---

(١) من مجلة الأزهر عدد رمضان ١٤١٥هـ تحت عنوان«فتوى للإمام الأكبر» .
(٢) المنافقون :(٨) .

وبعض العلماء في عصرنا الحديث ينادون بالاعتماد في تحديد أوائل الشهور العربية على الحساب الفلكي دون الاعتماد على الرؤية، ونقول لهؤلاء وأمثالهم :-

إن الدين الإسلامي يدعو إلى العلم، وأن كل حقيقة علمية ثابتة ثبوتاً يقينياً، لا يمكن أن تتصادم مع الدين، لأن الدين من عند الله ، والحق سبحانه وتعالى هو واهب العلم للإنسان وهو القائل :-

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . . .﴾(١) .

وعلم الفلك قد تقدم في عصرنا الحاضر تقدماً كبيراً فهو علم يدرس في بعض كليات الجامعة، وله أساتذة متخصصون، يقومون بعمل حسابات إحصائية دقيقة للشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الكواكب السيارة والثابتة ، وإليك ما يقولونه في تحديد أوائل الشهور العربية :-

يقول الدكتور (زين العابدين متولي)، أستاذ بقسم الفلك والأرصاد الجوية بكلية العلوم جامعة القاهرة :-

«من أهم الظواهر الفلكية، التي تلازم التقويم القمري، إثبات مولد الهلال لتحديد أول الشهر العربي .

---

(١) فصلت : (٥٣) .

يولد الهلال الجديد فى وقت واحد بالنسبة لسكان الكرة الأرضية، فإذا ولد الهلال مثلاً فى الساعة الثانية عشرة ظهراً ، على حسب توقيت القاهرة يكون بالنسبة لجميع سكان الأرض من شرقها إلى غربها، قد ولد هلال جديد وإن كان الوقت فى تلك اللحظة مختلفاً من مكان لآخر . ويعنى هذا أن هناك بلادًا يحدث فيها غروب الشمس، قبل أن يولد الهلال الجديد، وبلادًا أخرى يكون لديها الفرصة لرؤيته بعد غروب الشمس مباشرة، وكلما كان البلد غرب المكان الذى ولد فيه القمر الجديد كانت الفرصة أقوى لرؤيته، فإذا ولد الهلال فى «السعودية» مثلاً، فسوف تكون فرصة رؤيته أقوى فى البلاد الإسلامية التى تقع غرب المملكة العربية السعودية، أما البلاد التى تقع فى شرقها فإنها لا تستطيع رؤيته .

وهذه مشكلة تقابلنا عند تحديد أوائل الشهور العربية، حيث أنه يمكن رؤية الهلال الجديد فى بلد ما دون الآخر . من ناحية أخرى ، تتوقف رؤية الهلال، على مقدار استضاءته عند غروب الشمس وهذا بالطبع يتوقف على الفترة التى مرت منذ مولده . وعلى البعد الزاوى للقمر نفسه عن الشمس وعن الأرض، وفى مؤتمر « أنقره» الأخير تم الاتفاق على تحديد هذا البعد بثمانى درجات، وهذا البعد الزاوى ، يستلزم وقتاً بعد ميلاد القمر فلكيًا، وتختلف قيم هذا الوقت من فصل إلى آخر، وعلى ذلك

يجب علينا أن نحدد الفترة التى يمكن الرؤية خلالها بعد غروب الشمس، وفترة مكوث القمر».

ليست فقط المشاكل السابقة، هى التى تجعل ثبوت الهلال ممكناً فى بلد ما دون بلد آخر، فلابد أيضاً من اعتبار حالة الجو فى ذلك الوقت، فى المنطقة التى يراد أن يرى الهلال بها، حيث يعمل الضباب، والشابورة، والسحب الخفيفة وغير الخفيفة، على حجب جزء من الهلال. ويقول فى مقاله أيضاً :ـ

«ويمكن استخدام أطوال الشهور القمرية، لتعيين ميلاد القمر لعدة شهور قادمة إن شاء الله، مع الأخذ فى الاعتبار، أنه إذا ولد الهلال قبل الساعة الثامنة بتوقيت« جرينتش» يكون اليوم التالى هو أول الشهر العربى، وإذا ولد بعد هذا الزمن يكون بعد غد هو أول الشهر».

ويقول فى آخر هذا المقال :ـ

«إن لحظة ميلاد القمر فى بلد ما، هى لحظة ميلاده للعالم كله، فإذا ولد الهلال قبل الساعة السادسة بتوقيت القاهرة فإن رؤية الهلال ممكنة على خطوط الطول ٣١ خط طول القاهرة، حيث أن القمر سوف يغرب بعد الشمس بحوالى ٢٦ دقيقة. إذا فرض أن غروب الشمس فى هذااليوم الساعة السابعة مساء.

ويغرب بعد الشمس بحوالى ٢٤ دقيقة، إذا فرض أن

الغروب الساعة السادسة، وهكذا يمكن تقدير زمن غروبه، بعد غروب الشمس بحساب دقيقتين عن كل ساعة من عمره تقريباً.

وإذا كان الحساب بالنسبة لمدينة القاهرة، فنجد أن هذا الزمن (مدة المكوث فى السماء بعد غروب الشمس) يقل أيضاً بحوالى دقيقتين لكل ١٥ درجة من خطوط الطول التى تقع شرق القاهرة وتزيد دقيقتين لكل ١٥ درجة من خطوط الطول غرب القاهرة. وبالتالى فرؤية الهلال الوليد تكون أفضل، كلما كان البلد فى اتجاه الغرب. ومن ذلك يمكن القول بأنه إذا ولد الهلال الساعة السادسة صباحاً بتوقيت القاهرة يمكن لمعظم دول العالم الإسلامى أن يلاحظوه فى السماء، فيكون اليوم التالى هو أول الشهر الهجرى، أما إذا ولد بعد ذلك، فيكون احتمال رؤيته ضعيفاً. وإذا ظهر القمر على خطوط الطول، التى تقع غرب القاهرة، فهناك احتمال كبير أن يظهر عندهم بعد أذان الفجر فى بعض الدول الإسلامية. ومن الأفضل فى هذه الحالة أن يكون أول الشهر العربى هو بعد اليوم التالى لميلاد القمر».

هذا بعض ما جاء فى مقال الدكتور« زين العابدين متولى» . أستاذ بقسم الفلك والأرصاد الجوية بكلية العلوم جامعة القاهرة. وقد نشر هذا فى مجلة الأزهر: رمضان ١٤١٢هـ، مارس ١٩٩٢ م. تحت عنوان :ــ

«التقويم القمرى وتحديد أوائل الشهور الهجرية» .

من هذا المقال ومن غيره يتبين لنا أن علم الفلك ليس علماً يقينياً فى تحديدأوائل الشهور العربية، والدليل على ذلك هو اختلاف الفلكيين فى تحديد أوائل الشهور العربية فقد قال بعضهم: إن غرة المحرم سنة ١٤١٦هـ ستوافق ٣١ مايو سنة١٩٩٥م كما جاء فى الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، للدكتورة « فاطمة محجوب» العدد ٩٥ صـ ٢٩٦ .

وقال آخرون : إن غرة المحرم سنة ١٤١٦هـ ستوافق ٣٠ مايو سنة ١٩٩٥م كما جاء فى النتائج المنتشرة بين الناس ولو كان علماً يقينيًا فى هذا الباب، ما اختلفوا فى ذلك، ويمكن أن يعدّ التقدم فى هذا العلم آية من آيات الله الدالة على صدق رسول الله ـ ﷺ ـ حينما قال :ـ

« صوموا لرؤيته ،وأفطروا لرؤيته ،فإن غُمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً» .

فلقد ثبت علميًا أن عدم رؤية الهلال ، ليس بسبب السحب والضباب بل هناك أسباب أخرى كما جاء فى هذا المقال منها :ـ

* تتوقف رؤية الهلال الوليد ،على مقدار استضائته بعد غروب الشمس، وهذا بالطبع يتوقف على الفترة التى مرت بعد مولده، ويتوقف أيضاً على البعد الزاوى لمركز القمر عن مركز الشمس، ومركز الأرض وهذا البعد يستلزم وقتاً بعد ميلاد القمر فلكياً، وهذا الوقت يختلف من فصل إلى آخر ، ومن بلد إلى

أخرى، ومعرفة فترة مكوث الهلال الوليد بعد غروب الشمس، ولابد أن تكون الفترة كافية للرؤية، وكذلك تحديد ميلاده مكاناً وزماناً، فالعلم الحديث عرفنا أسباباً أخرى تمنع الرؤية غير ما كان يعرفه العرب ولفظ «فإن غُمَّ» لفظ عام يشمل الجميع، وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول :

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١).

وأيضاً فالعلم الحديث يؤيد ما ينادى به جمهور العلماء قديماً وحديثاً من أنه إذا ثبتت رؤية الهلال الوليد فى قطر، فيجب على جميع المسلمين أن يصوموا، ولا عبرة باختلاف المطالع، متى كانت الأقطار مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية، ويؤخذ باختلاف المطالع فى الأقطار التى لا تشترك فى جزء من هذه الليلة.

وفى هذا توحيد للصفوف، وجمع للكلمة، وهذا هو ما يأمرنا به ديننا، فيد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم الشاردة، وفق الله حكام المسلمين لخير البلاد والعباد، والاحتياط فى أمر العبادات واجب، حتى تؤتى ثمارها، ولا مانع أن تأخذ بالحساب الفلكى الدقيق، وبالرؤية من هيئة مكونة من علماء

---

(١) فصلت: (٥٣).

الدين ، وعلماء الفلك حتى نثبت ونتأكد علمياً وعملياً، لأن ذلك سيترتب عليه أمور دينية فى غاية الأهمية .

ويمكن أن نأخذ برأى «الدكتور/ زين العابدين» إذا ولد الهلال قبل الساعة الثامنة بتوقيت « جرينتش»يكون اليوم التالى هو أول الشهر العربى ، وإذا ولد بعد هذا الزمن يكو ن بعد غد هو أول الشهر العربى .

وفى هذا احتياط ، والاحتياط واجب، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، والله الموفق وهو المستعان .

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

فالحق تبارك وتعالى يكلف العباد بما يستطيعون ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ وهو الخالق، وهو الذى يعلم ما يصلح خلقه ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

ويقول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾[2].

من شكر الله عن نعمه، زاده الله من فضله

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾[3].

فاشكروا الله عباد الله، على ما أنعم عليكم من عبادات وتشريعات، فيها خيركم وسعادتكم فى الدنيا والآخرة، ومن ترغيب الله لعباده فى أداء هذه الفريضة على خير وجه، وكما أرادها الحق تبارك وتعالى إيماناً واحتسابًا لوجه الله الكريم أنه جعل آية الدعاء :ـ

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾ وسط آيات الصيام فالحق تبارك وتعالى خبير بأحوالهم، سميع لأقوالهم،

(١) الملك : (١٤) . (٢) ابراهيم : (٧) .
(٣) النمل : (٤٠) .

مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم خير الجزاء ، وفي هذا حث على الصيام في هذا الشهر العظيم ، وترغيب فيه ، وتأكيد على أهمية هذه الفريضة للنفس البشرية .

يقول الحافظ ابن كثير :ـ

وفي ذكره ـ تعالى ـ هذه الآية الباعثة على الدعاء ، متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة ، بل وعند كل فطر ، كما روى أبو داود الطيالسي في مسنده عن عبد الله بن عمرو قال :ـ سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «**للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة**» ، فكان عبد الله بن عمرو إذا أفطر جمع أهله وولده ودعا الله ، وروى ابن ماجة عن عبدالله بن عمرو قال : قال النبي ـ ﷺ ـ : «**إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**» .

ولقد خفف الحق تبارك وتعالى على عباده ، فأحل لهم ما كان محرماً عليهم ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ...**﴾

ويختم الحق تبارك وتعالى آيات الصيام بقوله :

﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾

ومن هذه الآيات ندرك أن الصيام مدرسة لتغيير الأمة من حال إلى حال :ـ

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١) .

مدرسة لتربية الشباب على الصبر، وعلى التحكم في شهواته وغرائزه ، مدرسة لتربية الأمة على تحمل المشاق، وقوة الإرادة والعزيمة حتى يتحقق لها النصر على الأعداء ، فأين نحن من الصوم الذى فرضه الله علينا ، ليصل بنا إلى التقوى ؟إننا نصوم عن الطعام والشراب، ولا نصوم عن المعاصى والرذائل، وكل ما يغضب الحق تبارك وتعالى ، فهل هذا صيام أيها المسلمون ؟

الحقيقة أن الصيام فى عصرنا الحاضر، مغيب عن حياتنا، فلا أثر له فى نفوسنا، ولا أثر له على مستوى أمتنا . ولذلك انتصر علينا أعداؤنا ، واستسلمنا لهم ، وتركنا الجهاد الأصغر ، والجهاد الأكبر . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . والجهاد الأصغر هو «جهاد الأعداء» ، والجهاد الأكبر هو «جهاد النفس» .

كما قال ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ حينما رجع من بعض غزواته : «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس**» فكم من رمضان مر علينا ، ونحن نصومه الصوم الذى اعتدناه وألفناه، ونخرج منه، ولم نصل إلى ما أراده الله منا، نخرج منه ، كما دخلنا إليه لا نصل إلى شئ . فلاتقوى تحققت فى نفوسنا، ولا اتحاد تحقق بين أوطاننا ، ولا قوة كنا نرجوها ، ولا عزة كنا نبغيها، ولا نصر كنا نسعى إليه لأن صيام التقوى

(١) الرعد :(١١) .

غائب عنا . وصيام القوة والعزة والنصر غائب عن ساحتنا . إننا فى حاجة إلى أن نعود إلى صيام من سبقونا من السلف الصالح ، صيام عن الأهواء والشهوات .

صيام يطهر القلوب من الأحقاد والأضغان ، صيام ينقذ الأمة من شقائها وبلائها ، صيام ينقذ الأمة الإسلامية من أعدائها ، صيام ينهض بالأمة من كبوتها ، صيام يجعل الأمة تتمسك بمنهاج خالقها ، وسنة رسولها ، وسيرة أصحابه .

والحق تبارك وتعالى يقول وقوله الحق :ـ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ... ﴾

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :ـ

«لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً ،كتاب الله وسنتى»، ويقول :ـ

«عليكم بسنتى ،وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى »

وأقول داعياً بربى ،ومستشفعاً برسولى :اللهم اهد حكام المسلمين إلى ما فيه خير البلاد والعباد . اللهم إنك تعلم أن فينا الداء ،وبين أيدينا الدواء ،اللهم إن هذا خذلان منك فأدركنا برحمتك وهيئ لنا من أمرنا رشداً ،اللهم إنا قد دعوناك كما أمرتنا ،فاستجب لدعائنا كما وعدتنا فإنك لا تخلف الميعاد .

وانظر يا أخى بقلبك وعقلك إلى السياق القرآنى العجيب، فبعد آيات الصيام، يحذرنا الحق تبارك وتعالى من أكل أموال الناس بالباطل، يقول الحق تبارك وتعالى :ـ

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾[1]. فما السر فى هذا ؟ وما الحكمة من وراء ذلك؟

أقول وبالله التوفيق، ومنه العون، فلا علم لنا إلا ما علمنا :

هذا السياق العجيب، يلفت الأنظار، ويرشد القلوب والعقول إلى ما يأتى :ـ

* القرآن الكريم كتاب الله، نزل على رسول الله، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً.

*القرآن الكريم منهاج سماوى ربانى، نزل لهداية البشرية جمعاء، يقول الحق تبارك وتعالى :ـ

﴿الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2].

* الحق تبارك وتعالى غنى عن عبادة خلقه، وإنما فرض عليهم العبادات لتربية النفوس والرقى بالغرائز، وتهذيب

---

(١) البقرة: (١٨٨).
(٢) إبراهيم: (١).

الأخلاق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

ويحدد رسول الله ـ ﷺ ـ الهدف من بعثته رسولاً للناس أجمعين فيقول :ـ« **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»

* في هذا رد على أعداء الدين من الكافرين، والمنافقين من المسلمين، الذين يقولون إن الدين علاقة فردية بين العبد وربه، وأنه لا علاقة له بالحياة، كيف يقولون ذلك؟ والدين هو الحياة، ولا حياة حقيقية بدون دين، وقد اهتدى إلى تلك الحقيقة أصحاب القلوب السليمة، والضمائر الحية، والقلوب المستنيرة، وهذا هو الشاعر الإسلامي يقول :ـ

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

ومن رضى الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا

كيف يقولون هذا الهراء؟ والتاريخ شاهد على كذبهم، فلقد هاجر رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة إلى المدينة لإقامة الدولة الإسلامية، ولقد ذكر أساتذة القانون الدولي أسس قيام الدولة وهي :ـ

أرض، وشعب، وسلطة تقود الشعب، وعقد المعاهدات، والعدالة بين الناس أجمعين، فالأرض هي أرض المدينة المنورة، والشعب هو الشعب الإسلامي، الذي ضحى بكل شئ من أجل

إقامة الدولة الإسلامية ، والسلطة قادها الرسول - ﷺ - ثم الخلفاء الراشدون من بعده ، ولقد آخى رسول الله - ﷺ - بين المهاجرين والأنصار ، وضربوا بذلك الأمثال الرائعة فى الأخوة الإسلامية ، ولقد عقد المعاهدات بين المسلمين واليهود والمشركين ، وسار أصحاب رسول الله - ﷺ - من بعده على نهجه ، وحكموا بين الناس جميعاً بمنهاج الله وشريعته فانتشر العدل بين الناس ، وأقاموا دولة الإسلام على أسس ثابتة ، ودعائم قوية ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، واستطاعت هذه الدولة الناشئة التى سارت على منهج الله وشريعته أن تتغلب على أكبر دولتين من دول العالم فى ذلك الوقت فى أقل من خمسين عاماً وهما دولتا **«الفرس والروم»** . فهل يجوز لعاقل أن يقول بعد ذلك إن الدين لا صلة له بالحياة ! ! فالدين هو الحياة ولا حياة بغير دين ، وهل تصلح الدنيا بغير قيم وأخلاق وتعاون بين الناس ، والحق تبارك وتعالى يقول **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**[1] .

ولما سئلت السيدة عائشة عن خلق رسول الله - ﷺ - قالت : « كان خلقه القرآن » .

والشاعر يقول :

---

(١) الحجرات : (١٣) .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول شاعر آخر :ـ

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتمًا وعويلاً

وواقع العالم فى عصرنا الحاضر يشهد أن العالم ينحدر أخلاقياً إلى الحضيض، فالقوى يعتدى على الضعيف، وتعدى هذا من الأفراد إلى الدول، فالدولة القوية تفرض سيطرتها على العالم وتسرق خيراته وثرواته وأكثر الدول تساعده حرصًا على مصالحها وخوفاً من طغيانه، وهذه حياة أشبه بحياة الحيوانات فى الغابات، وهذه الحياة بهذه الصورة الشاذة التى لا يقرها عقل ولا دين ولا قانون دولى ولا خلق كريم، فلقد كرم الله الإنسان بالعقل ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1] .

ولكن جنود القوة، والعظمة ، والاستكبار فى الأرض بغير حق، والإفساد فيها غيبت العقل وأعمت الأبصار والبصائر :

﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2] .

---

(١) الإسراء : (٧٠) . (٢) الحج : (٤٦) .

وأصبحوا فراعنة القرن الحادى والعشرين فاعتدوا على الضعفاء والمساكين وعاثوا فى الأرض فسادًا ونسوا سنة الله فى خلقه وأنه أهلك الظالمين على مدار السنين، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(١) .

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾(٢) .

والحق تبارك وتعالى يسلط بعض الناس على بعض حتى لا تفسد الأرض :

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٣) .

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٤) .

اللهم انصر الإسلام و المسلمين، وأعْلِ كلمة الحق والدين إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

فأنت مولانا وأنت نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) آخر سورة الشعراء. (٢) الكهف (٥٩) .
(٣) البقرة : (٢٥١) . (٤) الحج : (٤٠) .

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة